حسن علوان الدرزيّة

او

اول مسيحيّ الراهبة اللبنانيّة

بقلم القس انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس معاملة جبيل والبترون

١

تمهيد

الى

عباد الله المتقين من ابناء الوطن العزيز ، تؤفُّ ترجمة حياة راهبة لبنانيَّة من فضليات الراهبات .

تكشفت لها الدنيا عن اباطيلها الفانية ، فرغبت عنها الى الآخرة حبًّا بالسعادة الباقية . وانجلت لعينيها الحقيقة ، فتبسَّكت بها تمسُّكاً وثيق العرى ، لا تلويها عنها المخاوف ، ولا تزحزحها عن الاعتقاد بما ركن اليه عقلها اهوالٌ ولا خطوب

دعتها العناية الالهية الى اعتناق الديانة المسيحية ، ثمَّ الى الحالة الرهبانيَّة ، فلبَّت الدعوة بنفس رضيَّة مُصغية الى الهامات الله الخفيَّة ، وكأنها تقول بلسان حالها : « تكلَّمْ يا ربّ فعبدتك تسمع »

هجرت اهلها ، ووطنها ، ولجأت الى احد اديار راهباتنا اللبنانيَّات المحصَّنات ، وتحصَّنت داخل جدرانه عاكفةً على العبادة واعمال الزهادة . فبلغت من الرقيّ في مدارج الكمال الرهبانيّ مبلغاً قصيًّا . وكانت حياتها مدرجةً لاخواتها الراهبات الى الاقتداء بفضائلها السامية . نعني بها الاخت مسيحيَّة علوان الدرزية المذهب في الاصل

ومن أمعن الرويَّة في ترجمتها اندهش من مفاعيل نعم العناية الالهية التي لا تقف بسبيلها قوَّةٌ بشريَّة . فسبحان من يغير الاحوال في طرفة عين

برمانا — بلدتها

برمّانا بلدةٌ في مقاطعة المتن ، أفرغت عليها الطبيعة أبهى المحاسن وكستها بثوبٍ من جمال الخضرة البديع ، قائمةٌ على رابيةٍ شرقيّ بيروت ترتفع عن سطح البحر ٨٠٠ متر ، تحوّطها اشجار الصنوبر من جميع اطرافها ، وتتغلغل بين غاباتها بعض بيوتاتها تتنعّم بنفحات نسيمها وتغاريد طيورها .

تطلُّ من جهتها الشمالية والغربية على بيروت وحدائقها النضرة . وتقابل من الجهة الشرقية جبل صنين اللامع شتاءً وصيفاً بثوبه الناصع . وتقع العين من الجهة القبليّة على وادي الجماني الغاصّ باشجار الصنوبر والسنديان ، وعلى عاليه ومعظم قرى الغرب . واذا كان الجوُّ صافي الأديم ، وصعدت الى مرتفعاتها قُبيل الغروب ، رأيت جبال قبرس متشحاً بابدع مشاهد الطبيعة التي تشبعُ العين بهجةً وتملأ النفس غبطةً .

أضفْ الى هذه المحاسن الطبيعية شمائل اهـالي برمّانا الطيّبة ، وكرم اخلاقهم ، وبساطة كفّهم ، واكرامهم للغريب ، وحبّ التآخي الـذي يسود فيما بينهم على تباين مشاربهم ومذاهبهم . كلُّ ذلك يشوّق طلّاب الاصطياف الى اختيار هذه البلدة في فصـل الصيف مسرحاً لافكارهم ومتنزّهاً لابدانهم بحيث تتوفّر لهم فيها اسباب الراحة والمسرّة .

حسن علوان — او الاخت مسيحية

نشأتها

وُلدت في برمّانا في اواخر شباط من ابوين درزيين ، اسم ابيها شاهين ابي نكد ، وامّها ستّ الاخوة ، وكلاهما من عيلة علوان . تزوّج ابوها اربع نساء على التعاقب وطلّقهنّ جميعاً . رُزق من الاولى ولداً ذكراً ، ومن الثانية بنتين ، واماً الثالثة فقد سمّمت للولد ومات ؛ فشكاها زوجها الى الامير بشير المالطي ، فأمر بشنقها . فاخذها زوجها وابوها ، وطرحاها في البحر .

ثمَّ اقترن شاهين بالمرأة الرابعة ، ستّ الاخوة — والدة صاحبة الترجمة — وكان حدث لها قبل عقدها عليه مسٌّ في عقلها ، فاشار اليها بعض جيرانها النصارى ، ان تنذر نذراً للقديسة تقلا في كفرسلوان فتشفى . فنذرت وشفيت . ثمَّ أصيبت بمرض الطاعون ، وشفاها الله على يد أمته القديسة تقلا ايضاً . واذ وثقت من قوَّة شفاعتها ، أخذت تستغيث بها في كل بلاء ومحنةٍ تعرض لها .

ولمَّا مضت مدَّة على زواجها ولم تقرَّ عينها بولدٍ ، لجأت الى شفيعتها كمن يلجأ الى كهفٍ حريز والى مسامحةٍ حنون ، فبان حبلها . واتفق ان مرَّ بها احد المغاربة ، وهي حبلى ، فكهَّن لها انها ستلد ولداً ذكراً وتموت وقت ولادته ، فأثَّر تكهُّنهُ بعقلها وحزنت حزناً مزَّق شغاف قلبها وأسال مذارف عينيها ، فهرعت الى شفاعة مساعدتها القديسة تقلا طالبةً منها ان ترزقها بنتاً مخافة ان يصدق المغربيّ في تكهُّنهِ وتموت ، ووعدتها اذا استجابت سؤلها ، انها تنذر لها هذه الطفلة ، وتقدّم لمعبدها كلّ سنةٍ نصف رطل زيتاً ما لازمتها الحياة

نامت ليلة نذرها ، فرأت ، في الحلم ، القديسة تقلا تضع في حضنها بنتاً وتقول لها : خذي هذه الابنة وارضعيها . فاخذتها والسرور ملأ فؤادها . وفي الصباح قصَّت على زوجها وجيرانها ما رأت في الحلم وسمعت ، والفرح آخذٌ منها كلَّ مأخذ .

مرَّت على جلمها اربعة ايام فولدت بنتاً — هي الاخت مسيحيّة — اطلقت عليها اسم حسن . وما مضى احد عشر شهراً على ولادتها حتى طلَّق شاهين امرأته الرابعة ستَّ الاخوة ، على مألوف عادته . ولمَّا كانت متعلقةً أشدَّ التعلُّق بابنتها ، ويعزُّ عليها الانفصال عنها ، إكترتْ منزلاً مجاوراً لمنزل زوجها رغبةً في رؤيتها والعناية بامرها .

ولم تكن تتقاعد عن القيام بايفاء نذرها السنويّ للقديسة تقلا المحسنة اليها ، والشفيعة الخصوصية لها ، والحصن المنيع الذي كانت تفزع اليه في كلّ خطبٍ يُلمُّ بها او بابنتها التي كانت تقول لها عند كل حادث : « لا تخافي يا حسن ، فان القديسة تقلا تدفع عنكِ كلَّ ضرّ وتنجيكِ من كل بلية لاني خصصتكِ لها بالنذر »

بدأت هذه الابنة منذ نعومة اظفارها تُكثر الترداد الى اولاد النصارى مستأنسةً بعشرتهم ، مستطيبةً مخالطتهم . وكانت تصوم الصوم المفروض عند المسيحيين اقتداء بهم وحبًا بالله ، على ما كانت تسمع منهم.

. . .

بلغت حسن السنة الخامسة عشرة من عمرها ، واستهوى جمالها قلب ابن خالتها ظاهر نجم ، فرغب في الاقتران بها وكاشف أمها بسرّه فوعدته خيرًا . واذ رفضت حسن الزواج ، احتالت عليها أمها وقادتها الى دار الامير علي ابي اللمع ، طالبة اليه ان يقنعها اذا استطاع ، بالزواج من ابن خالتها ، او انهُ يغصبها على الرضى به غصباً . ولا يخفى ما كان للامراء من السيطرة والارهاب في تلك الايام ، فسلّمها الاميرُ الى ظاهر نجم قسرًا بالرغم من رفضها ومقاومة والدها واخيها . فاقامت في بيته سنة وهي طاهرة الذيل نفساً وجسدًا (كما اخبرت رئيستها عن حالها وهي راهبة) وكانت تتحيّن الفرص للهرب غير عالمةٍ الى اي مكان تلتجيء فرارًا من هذا المأزق.

حلمت يوماً في نومها انها دخلت جنينة فرشت ارضها بالورد والبنفسج والزنبق وسائر انواع الزهور الجميلة العطرة ، يزينها حوض ماء زلال في وسطها. ورأت هناك امرأة بديعة المنظر لم تقع عينها على أبهى منها جمالًا ، فسألتها حسن: «ماذا تصنعين هنا ، ألا تخافين من سارق او باغٍ يسطو عليكِ ؟» اجابتها المرأةُ والابتسامة ملء ثغرها : «لا خوف عليَّ يا بُنيّتي فلا احد يجرؤ على ان يمدَّ اليَّ يد سوء.» فدنت حسنُ منها وقبّلت يديها فرفعت المرأةُ يدها وباركتها. ثمَّ خرجت حسنُ من تلك الجنينة ووجهتها بلاد كسروان ، الى غير مكانٍ معيّنٍ او معروف

استيقظت من رقادها وروت حلمها على كنة عنتها ، التي كانت تدّعي تفسير الاحلام ، فازدجرتها هذه ورفعت يدها لتضربها صارخةً بها : « ويحكِ انكِ ستصيرين نصرانية». اجابتها: « ما كان أسعدني لو تمَّ لي ذلك.» قالت ، وفرّت من امامها.

من برمانا الى بكركي

مرَّ شهرٌ على حلم حسن فحدثت حوادث السنين الشهيرة وكثرت المخاوف في جهات المتن ، فاضطرَّ ابن خالتها ضاهر نجم الى التخفي في احدى الغابات . وكانت والدته تختلف اليه سرًّا من وقتٍ الى وقت ، تمدُّهُ بالزاد والماء . واذ ذهبت يوماً لافتقاده شعرت حسنُ بعاملٍ خفيٍّ شديد يدفعها الى الخروج من البيت فاستنهزت فرصة غياب خالتها ، واخفت الجرَّة لتوهمها عند عودتها انها ذهبت لتملأها فلا تفتش عنها ، وخرجت هاربةً من البيت الذي ضاق فيه صدرها وغُمَّت نفسها ، لا تحمل معها شيئاً من الزاد تقتات به عند الحاجة .

سارت نحو بلاد كسروان التي رأتها في الحلم فأدَّى بها السير الى خرائب كنيسة على اسم القديس موسى في جوار انطلياس ، فالقت في نافذتها زرًّا من الفضَّة لم تكن تملك غيره طالبة بحرارة من شفيع ذاك المسبد العجائبي الذي كانت تسمع به ، ان يهديها طريقاً آمنة ، ويعينها في سفرها ويسدَّ في وجهها سُبل العود الى بيتها . ثمَّ واصلت سيرها حتى صربا لا تدري الى اين هي ذاهبة ، فالتقت هناك بامرأة نصرانية من برمانا ، واذ عرفتها هذه اسرعت الى رجال مجتمعين تستحثُّهم على قتل هذه الابنة الدرزية ، أخذًا بثأر قتلى النصارى الذين فتك بهم الدروز ولا يزالون يثأرون بالمسيحيين اقطع تمثيل .

اقترب الى حسن رجلان ، وقد ظنَّاها جاسوسة تحمل مكاتيب من مشايخ آل الخازن الى اناس في صربا ، فتنصَّلت من تلك التهمة فلم يصدقاها ، وهمَّ عندئذ احدهما ان يجرَّها الى خارج القرية ليقتلها . فتمسَّكت بجذع شجرة عفصٍ ، وحاول الرجل افلات يديها منهُ فلم يستطع ، ولم يشأ ان يقتلها جهرًا في القرية . واذ يئس من التغلب عليها سألها عن المكان الذي تؤمه . اجابته فوراً : « اني ذاهبة الى بكركي لشغلٍ خصوصي . » ولم تكن تعرف الوجهة التي تقصدها ، ولا ما هي بكركي . قال : « ان كنتِ صادقة في قولكِ ، فانا اوصلكِ اليها . » فشكرت معروفهُ وذهب برفقتها ليتحقق أصادقةٌ هي ام كاذبة

مثُلت حسنُ بين يدي السيد البطريرك بولس مسعد ، وكشفت لهُ عن نفسها ،

وألقتْ اليه بخيفة صدرها ، مظهرةً رغبة شديدة في اعتناق الديانة المسيحية . فظنَّ غبطتهُ انَّ امرًا ما عرض لها فألجأها الى هذا الطلب . لذلك أخذ يهدّئ روعها ، وينفس كربتها ، ويطمئن بالها ، مسهّلًا لها الرجوع الى اهلها ، ضامناً كلَّ أذًى يصيبها في طريقها اليهم . فصرّحت له انها تفضل الموت على العود عن قصدها الحسن . ولمَّا تحقق السيد البطريرك انها متصلّبة في عزمها على الاخذ بدين النصرانية ، أمر بيقائها في بكركي ، واوصى حاشيتهُ برعايتها وتقديم كل ما تحتاج اليه . فقضت هناك خمسة اشهر ، ناعمة البال ، قريرة العين ، تأكل وتشرب من مائدة البطريرك ، وتنام في احد بيوت شركاء الكرسي البطريركيّ .

اتصل بمسامع اهلها خبر وجودها في بكركي فقصدتها شقيقتها وخالتها — والدة ظاهر نجم — يرافقها رجل من طائفة الروم الارثوذكس من جيرانها ، فصادفوها تنشل جرَّة من بئر ، ومعها صاحب البيت الذي تأوي اليه وزوجتهُ . فهمَّ الثلاثة البرمّانيون باماكها واقتيادها عنوة ، فاستأسدت حينئذٍ ، واستبسلت في الدفاع عن حرّيتها ، واعطت حبل الجرَّة الى مضيفتها وارتدَّت الى خالتها تشابكها وتجادلها حتى اخذتها بتلابيبها ورمت بها الارض ، وأفلتت من شقيقتها ايضاً ، وهرولت تحتمي في بوّابة بكركي بينما كان مضيفها ممسكاً الرجل الارثوذكسيّ عن مساعدة رفيقتيه عليها ، وعن اللحاق بها .

اختنت عنهم في بكركي واصرّت على رفض مواجهتهم ، فابلغوها انهم يقبلونها بالحبّ والترحاب مقدّمين لها كلَّ ما تشتهي وتريد ، فلم تمل تملّقاتهم عطفاً في قلبها وكان جوابها لهم : ان أحبَّ شيء اليها هو ان تكون نصرانية . واذ قطعوا الامل من مقابلتها عادوا الى بيوتهم آسفين .

من بكركي الى بيروت

دعاها السيد البطريرك ، في نهاية الخمسة الاشهر على اقامتها في بكركي كما تقدَّم الكلام ، الى المثول امامهُ وامام اساقفته ، واخذ يسهّل لها الرجوع الى اهلها على ما مرَّ ، امتحاناً لعزمها . فوجدها راسخة القدم ، ثابتة العزم على الديانة بدين المسيحية ، فكانت تجيبه : « الموت أحبُّ اليَّ من الرجوع الى

اهلي . واني اشتهي من صميم قلبي ان اكون مسيحية »

اراد غبطتهُ ان ينصرها ، فعارضهُ الاساقفة ، مخافةَ ازدياد ثوران الدروز وانتقامهم من النصارى بسببها وقد عرفوا بوجودها في بكركي ، فعدل عندئذٍ عن رأيه واتفق والاساقفة على ارسالها الى بيروت . وفي اليوم التالي استدعوا رجلًا وامرأة وامروهما بايصالها الى محلٍّ آمنٍ في بيروت . فذهبا بها وهي غير عالمةٍ في اي مكانٍ تحطُّ عصا رحالها وما سألتها عن شيء..

كان للرجل صديق في بيروت ، فبات ثلاثتهم تلك الليلة عنده . ولمَّا وقف مُضيفهم على حقيقة أمرها ، اشار الى رفيقها ان يضاها عند الانكليز « البروتستانت » ، فقاومتهُ امرأتهُ ميلتة عدم صواب رأيه ، ومفضلة وضعها في دير راهبات المحبة اللعازريَّات ، لانها كانت تحبُّهنَّ لما يبذلن من المعروف والاحسان . وفي اثناء تبادلهم الآراء ، وصل اليهم خوري من الشيَّاح ، فعهدوا اليهِ ايصال هذه الابنة الى دير الراهبات .. فمضى بها الكاهن وعرضها على الرئيسة راجيًا قبولها ، فقبلتها على الرحب والسعة بدون ان تسألها عن هويتها ودينها .

ليأذن لنا القارئ اللبيب ان نقف قليلًا عن متابعة حديث حسن ، ونرى ما كان من امرها في دير راهبات المحبة :

معلومات وردة ثابت

في سنة ١٩٢٥ ، علمتُ انَّ ابنةً عابدةً تقيم في دير البنات اليتيمات لراهبات المحبة اللعازريَّات في بيروت ، تعرف حسن علوان — الاخت مسيحية — واسمها وردة ابنة فارس ثابت من دير القمر ، برحت بلدتها في سنة ١٨٦٠ . وأوت الى دير الراهبات المذكورات واقامت فيه بصفة عابدة ، تزاول الخدمة الى آخر حياتها ، وكان لها من العمر ستٌ وستُّون سنة . قصدتُها وسألتُها ما تعرفه عن الابنة الدرزيَّة حسن ، قالت :

« ان الاخت مسيحية كانت اولًا في دير بكركي ، وقد ارسلها البطريرك الى دير البنات اليتيمات للعازريَّة ، وكانت تجهل القراءة فعنيت الراهبات بتلقينها مبادئ الديانة المسيحية والقراءة العربية والفرنسية والخطَّ في كلتيهما ، وشغل

الابرة ايضاً . فاتقنت هذه الدروس وبرعت بها لانها كانت ذكية الفؤاد. وبعد ثلاث سنوات اقتبلت سرّ العماد المقدّس في ٨ ايلول ، عيد ميلاد السيدة العذراء ، وسمّتها الراهبات باسم ماري ، وانضمّت الى اخوية الحبل بلا دنس . وفي تناولها الاول ألبستها رئيسة الدير الاخت بيزن الفرنسية الأصل ، ثوباً ابيض . وكان فرح ماري بتناول القربان المقدّس لاوّل مرّة عظيماً جداً .

« ثمّ أقامت عندنا في الدير سنتين ، تقضي حصّة كبيرة من ايامها في الكنيسة ، وتباشر في كل شهر رياضتها مع بنات اخويّة مريم ، وتشابر على التناول اليومي . وكانت جميلة الصورة بديعة ، لطيفة في معشرها ، وديعة كريمة في اخلاقها ، حارّة في عبادتها ، نشيطة دقيقة في حفظ واجباتها . وقد أحبّتها الراهبات لدماثة طبعها وجزيل تقواها ، وعهدن اليها خدمة الكنيسة . ولم تكن ترغب في التنزّه ولا في الخروج من الدير ، ولم نسمعها تذكر اهلها مرّة ، ولم ترد ان يأتي أحدٌ على ذكرهم امامها . وقد دروا بمكانها فقصدوها ليخرجوها من الدير ، فاختبأت حالما شعرت بهم رافضة رؤيتهم . واذكر ان اسم والدها شاهين . ويُقال انها كانت متزوّجة » .

« أمّا كيفيّة خروجها من الدير فهي : قالت لها الرئيسة مرّة ان شغلك في تطريز هذه القطعة غير حسن ولا تظنين اننا نقبلك في سلك الراهبات اذا لم تكوني ماهرة في التطريز . وقصد الرئيسة بذلك ان تنشطها الى اتقان هذه الحرفة . أمّا ماري فاعتقدت صحّة كلامها . وبينما كنا مجتمعات للصلاة في الكنيسة لم نجدها بيننا ، واتفق ان وجدنا تحت وسادتها ورقة مكتوبة فيها هذه الكلمات : لا تفتّشن عني فاني ذاهبة الى مكان يدعوني الله اليه . ومن ذاك الحين لم نعد نراها ، وقد سألنا عنها فقيل لنا انها في دير بجهات لبنان الشمالي . »

« انتهى كلام وردة ثابت »

* * *

من دير الراهبات اللعازريات الى دير الراهبات البنائيات

لنعد الى تتمّة ما بدأنا به من قصّتها :

بعد ان قضت حسنُ اربع سنوات في دير الراهبات اللعازريّات تتلقّى في خلالها اصول الدين المسيحي ، طلبت من الرئيسة ان تتنصّر ساردةً لها قصّتها مفصّلة ، فاطلقت الرئيسة البنات الى خارج الدير ولم تبقِ فيه سوى راهبة واحدة . ثمّ استدعت المرشد وكاهناً آخر وعمّداها سرًّا ، وسمّيت مريم ، وسُلّمت اليها شهادة تنصيرها . وفي اليوم التالي تناولت جسد الربّ ، وانجلى لعقلها اذ ذاك ما كان يصعبُ عليها فهمهُ من اسرار الدين المسيحيّ .

مكثت في دير الراهبات سبع سنوات [1] قائمةً بخدمة الكنيسة . وكان اهلها في كل هذه المدّة لا يتوانون في البحث عنها ، فلم يظفروا بها . وقد حضر مرّة رجلٌ من بعبدات لزيارة بنتٍ له في دير الراهبات ، عمرها ست سنين ، وطلب منها ان تمكّنه من مقابلة مريم ليقتادها قسرًا الى عمّها الذي وعدهُ بالمكافأة ، اربعة آلاف غرش ، فأبت ابنته اجابة طلبه ، وبكت على قدميه ضارعةً اليه ألّا يقرّ لاحدٍ بمكانها فاقتنع ومضى .

أتى مرّةً اخرى بعض ذويها الى الدير ، فصادفوا بالقرب منه عددًا من البنات يغسلن الثياب فامعنوا النظر فيهنّ لعلّهم يعثرون عليها بينهنّ فلم يجدوها . وكان دورها بالغسيل في ذاك اليوم ، غير انّ الله ألهم الرئيسة ان لا تدعها تخرج مع البنات ، بدون سابق علم بمجيء اقربائها الذين طلبوا ان يدخلوا الدير ويفتّشوا عنها ، فلم تأذن لهم الرئيسة فعادوا أدراجهم خائبين .

كانت الرئيسة والراهبات يعدنّ مريم بقبولها طالبةً للترهب في احد ديورتهن باريس بعد اربع سنوات . غير انها استطالت المدّة . واذ كان شوقها شديدًا الى لبس الثوب الرهباني ، رأت ان تنخرط في سلك الراهبات المارونيّات ، وعقدت النية على الخروج من دير الراهبات اللعازريّات . فنهضت يوماً وانتزعت

---

(١) نظنّ ان رواية الاخت مسيحيّة عن نفسها : انها قضت في دير راهبات المحبّة سبع سنوات ، أصحّ من رواية وردة ثابت التي قالت انها مكثت خمس سنوات .

غطاءَ فراشها لتستتر به عن العيون ، وخرجت من الدير خفيةً بدون ان تأخذ معها شيئاً . وكان بيدها مفتاح الصندوق الذي تُلقى فيه النذور ، وهو ممتلئ من الدراهم ، فلم تمدّ اليه يداً .

سارت في طريقها ، فبلغت بكركي ، وكان وقتئذٍ السيد البطريرك يوسف مسعد في القسطنطينية . ولم يكن في بكركي سوى كاهن من الرهبانية الانطونية ، يُدعى القس جبرائيل ، فروت له حكايتها . فاشار عليها ان تذهب الى الديمان ، وتعرض مسئلتها على المطران يوسف المريض ، النائب البطريركي ، فيتدبّر امرها . وبعث اليه بكتابٍ معها يرجوهُ فيه العطف عليها ، وزوّدها ستّة ارغفة . فشكرت جميله ، ومشت قاصدةً الديمان متوكلة على عناية الرحمان .

وصلت الى كنيسة سيدة مرتين في جبيل ، فاستوقفها جنديٌّ وشرع يتهدّدها ويطرح عليها اسئلةً فضولية ، فأرتهُ الكتاب الذي تحملهُ الى المطران ، وحينما لمح عنوانهُ أخلى سبيلها . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب ، فارتبكت مريم بامرها ، ولعبت برأسها المخاوف وامست مروّعة القلب مرتعدة الفرائص لا تدري كيف تتوجّه :

واذا العنايةُ راعتك عيونُها نمْ فالمخاوفُ كلُّهنَّ أمانُ

وانها لكذلك ، سخّر اللهُ لرفقتها شاباً من بشرّي ، خادماً في الديمان كان عائداً اليه من بيروت ، فسكن جأشها وأزال المخاوف من قلبها قائلاً : اتبعيني ولا تخافي . وسارا ليلاً حتى انتهيا الى قدعوس ، بالقرب من البترون ، فباتا تلك الليلة فيها . أمّا مريم فأبتْ ان تنام إلّا في خيمةٍ مهجورة لا فراش فيها ولا غطاء .

ولمّا تبلّجت انوار الفجر ، استأنفا السير الى قرية كفيفان . واذ كان هذا الشابّ معجلاً في الرجوع الى الديمان ، وكان التعب قد أنهك قوى مريم فعجزت عن ان تماشيه ، تركها هناك ومضى يغذُّ في طريقهِ . وكأنَّ العناية الالهية أبتْ ان تُهمل هذه الابنة المسكينة ، فقيضت لها رجلاً من حدث الجبّة

فرافقته اليها . ومن هناك ذهبت وحدها الى الديمان . وقبل أن تصل اليه ، التقت برجل مهيب ملتحٍ قد جلّله بياض الشيب تبدو على وجهه سمات الوقار والكمال فابتدرها بهذا الكلام: «اذا سألك المطران ابن تريدين الترهّب فقولي لهُ في دير مار سمعان القرن . » واشار الرجل بيده قائلًا : «هناك دير مار سمعان ، على رأس تلك التلّة حيث ترين الدخان متصاعداً من الأتون» (كان الرهبان وقتئذٍ يدفئونه) . ثمّ ناولها من ذات خاطره غرشين لتبتاع بهما ما يسدُّ جوعها ، وهداها الى طريق الديمان التي خلّتها . وقد كانت في اشدّ الحاجة الى الاكل لانها ما تبلّغت في ذاك النهار .

وصلت الديمان ، وقابلت المطران المريض وعرضت له أمرها فسألها : ابن تريدين الترهّب؟ اجابت : في دير مار سمعان القرن . قال : سيحضر عندنا عن قريب الاب افرام جميع البشرّاوي ، رئيس الرهبانية اللبنانية العام ، فتكلّمه بشأنك . وفي اليوم التالي وجّهها المطران الى دير مار انطونيوس قزحيّا ، وسلّمها كتاباً للاخ عبد الاحد البشرّاوي ليقبلها مدّةً في الدير .

حضر الرئيس العام الى الديمان وروى له المطران روايتها واكلّا اليه العناية بها ، ثمّ قفل راجعاً الى مدرسة بان . وما دارت مريم به حتى اسرعت الى مقابلته تستدرُّ منه الشفقة عليها ؛ فارسلها الى دير القرن بحمية رجل وامرأة من قرية بلوزا [1] ، وكتب الى الرئيسة كلمة توصية بها .

(للبحث صلة)

---

١) كان الرجل والمرأة يزوراننا في دير القرن من حين الى حين ، وقد زاراهما ايضاً في دير الظهر ، وكانا يحبّاننا ويعتنقان تقيا كأحدنا من ذوي قرباها .